ولعل هذا الشق كان سببا في اسلام قرينه المروي عند البزار من حديث ابن عباس ويحتمل
ان يكون اشارة الى حظ الشيطان المباين كالعفريت الذي اراد ان يقطع عليه صلاته ثم
امكنه الله منه واما شق الصدر عند المبعث فلزيادة الكرامة وليتلقى ما يوحى اليه
بقلب قوي على اكمل الاحوال من التطهير واما شقه عند ارادة العروج الى السما فللتهيي
للترقي الى الملا الاعلى والثبوت في المقام الاسنى والتقوي لاستجلا الاسما الحسنى ولهذا
لما لم يتفق لموسى عليه السلام مثل هذا التهيي لم تتفق له الروية وكيف يثبت للرجل
ما لا يثبت له الجبل ويحتمل ان تكون الحكمة في هذا الغسل لتقع المبالغة في الاسباغ
بحصول المرة الثالثة كما تقرر في شرعه عليه الصلاة والسلام ثم ان جميع ما ورد من
شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك من الامور الخارقة للعادة مما يجب التسليم
له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة فلا يستحيل شي في ذلك
قال العارف ابن ابي جمرة فيه دليل على ان قدرة الله تعالى لا يعجزها ممكن ولا تتوقف
لعدم شي ولا لوجوده وليست مربوطة بالعادات الاحيث شا ته القدرة لانه على
ما يعهد ويعرف ان البشر مهما شق بطنه والجزع القلب مات ولم يعش وهذا النبي صلى
الله عليه وسلم قد شق على بطنه المكرمة حتى اخرج القلب فغسل وقد شق بطنه
كذلك ايضا وهو صغير وشق قلبه واخرجت منه نزغة الشيطان ومعلوم
ان القلب مهما وصل له الجرح مات صاحبه وهذا النبي صلى الله عليه وسلم شق
بطنه في هاتين المرتين ولم يتالم بذلك كما ان اراد الله تعالى ان لا يوثر ما اجرى به
العادة ان يوثر بل اموت صاحبها فابطل تلك العادة وقد رمي ابراهيم عليه السلام
في النار فلم تحرقه وكانت عليه بردا وسلاما انتهى وقد حصل من شق صدره الكريم
اكرامه عليه الصلاة والسلام بتحقيق ما اوتي من الصبر فهو من جنس ما اكرم
به اسماعيل الذبيح بتحقيق صدره على مقدمات الذبح شدا وكتفا وتلا للجبين
واهوا بالمدية الى المنحر فقال ستجدني ان شا الله من الصابرين ووفى بما وعده
الله فاكرمه الله بالثنا على صبره الى الابد ولا مرية ان الذي حصل من صبر
نبينا صلى الله عليه وسلم اشد واجل لان تلك مقدمات وهذه نتيجة وتلك
معاريض وهذه حقيقة والمنحر مقتل وما اصابه من اسماعيل الا صورة القتل
لا فعله وشق صدر نبينا عليه الصلاة والسلام واستخراج قلبه ثم شقه ثم كذا
ثم كذا مقاتل عديدة وقعت كلها ولين انخرقت العادة ببقا الحياة فهذا الابتلا
اعظم من ابتلا الذبيح بما ذكر **فان قلت** الصبر انما لو كان هناك مشقة فلعل
العادة لما انخرقت في ابقا الحياة انخرقت في رفع الشان وحل الالام **اجيب**
بانه ورد في حديث شق صدره فاقبل وهو منتقع اللون او ممتقع بالميم
بدل النون وهو يدل على ان الصبر على مشقة المعالجة المذكورة محقق

انما يتحقق الصبر ان لو كان هناك مشقة فلعل الخ

قال

قال القاضي عياض واصل النقع صار كلون النقع والنقع الغبار وهو شبيه بلون
الاموات وهذا يدل على غاية المشقة واما قول ابن الجوزي فشقه وما شق عليه يحمل
على انه صبر صبر من لم يشق عليه انتهى وكذلك الابتلا ايضا من حيث السن فان ذلك وقع
لنبينا صلى الله عليه وسلم بعيد ما فطم وايضا فانه كان منفردا عن امه وبعيدا من ابيه ثم
واختطف من بين الطائف وفعل به ما فعل من الافعال تسهيلا لما يلقاه في المال وتعظيما
لما يناله على الصبر من الثواب والثنا ولهذا لما شج وجرح وكسرت رباعيته قال اللهم اغفر لقومي
فانهم لا يعلمون زاده الله شرفا وقوله ثم اتيت بطست من ذهب انما اتي بالطست لانه
اشهر الات الغسل عرفا **فان قلت** ان استعمال الذهب حرام في شرعه عليه الصلاة
والسلام فكيف استعمل الطست الذهب هنا **اجاب** العارف ابن ابي جمرة بان تحريم الذهب
انما هو لاجل الاستمتاع به في هذه الدار واما في الاخرة فهو للمومنين خالصا لقوله عليه
الصلاة والسلام هو لهم في الدنيا وهو لنا في الاخرة قال ثم ان الاستمتاع بهذا الطست
لم يحصل منه عليه الصلاة والسلام وانما كان غيره هو السابق له والمتناول لما كان فيه
حتى وضعه في القلب المبارك فسوقان الطست من هناك وكونه كان من ذهب دال
على ترفيع المقام فانتفى التعارض بدليل ما قررناه انتهى **وتعقبه** الحافظ ابن حجر بانه
لا يكفي ان يقال ان المستعمل له ممن لم يحرم عليه ذلك من الملايكة لانه لو كان قد حرم عليه
استعماله لنزه عنه ان يستعمله غيره في امر يتعلق ببدنه المكرم ويمكن ان يقال ان تحريم
استعماله مخصوص باحوال الدنيا وما وقع في تلك الليلة كان الغالب انه من احوال الغيب
فيلحق باحكام الاخرة ولعل ذلك قبل ان يحرم استعمال الذهب في هذه الشريعة وتظهر
هاهنا مناسبات انه من اواني الجنة ومنها انه لا تاكله النار ولا التراب ومنها انه لا يلحقه
الصدي ومنها انه اثقل الجواهر فناسب قلبه عليه الصلاة والسلام لانه من اواني ثم
احوال الجنة ولا تاكله النار ولا التراب لان الله حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبيا
ولا يلحقه الصدي وانه اثقل من كل قلب غسل به وفيه مناسبة اخرى وهي ثقل الوحي
فيه انتهى **قلت** قوله ولعل ذلك قبل ان يحرم استعمال الذهب في هذه الشريعة
قد جزم به في اول الصلاة من كتابه فتح الباري بان تحريم الذهب انما وقع بالمدينة
وقال السهيلي وابن دحية ان نظر الى لفظ الذهب ناسب من جهة اذهاب الرجس
عنه ولكونه وقع عند الذهاب الى ربه وان نظر الى معناه فلوضاته ونقايه وصفا به
انتهى والمراد بقوله ملي حكمة وايمانا مجازا ويحتمل ان يكون على حقيقته وتجسد المعاني
جايز كما ان سورة البقرة تجي يوم القيامة كانها ظلة والموت في صورة كبش وكذلك
وزن الاعمال وغير ذلك وقال البيضاوي لعل ذلك من باب التمثيل اذ تمثيل المعاني
قد وقع كثيرا كما مثلت له صلى الله عليه وسلم الجنة والنار في عرض الحايط وفايدته كشف
المعنوي بالمحسوس وقال العارف بن ابي جمرة فيه دليل على ان الايمان والحكمة جواهر

Copyright ... University